اثبات الروح بالمباحث النفسية

دحض شبهة الاستهواء في التجارب الروحية

(٩)

ندحض في هذه المقالة النظرية الثانية من نظريات الماديين التي يرددونها لتعليل الظواهر الروحية ومؤداها ان هذه الظواهر خيالية بحت ليس لها حقيقة في الواقع وانما تتراآى للمجربين لوقوعهم تحت تأثير استهواء الوسيط

لما آنس الماديون ان اصرارهم على نظرية التدليس اصبح لا وزن لهُ بعد دخول الوف من الرجال المشهود لهم بالالمعية والفضل الى ميدان التجارب وتطابق شهاداتهم لها في كل صقع من اصقاع المعمور لجأوا الى نظرية الاستهواء التي قدمناها وهي بمثابة خط الدفاع الثاني لهم كأن العلماء الكبار امثال كروكس وريشيه وزولنر ولومبروزو وبترهوف والالوف المؤلفة من الاخصائيين العظام من الغباوة والبله وانحطاط المدارك والبلادة العقلية بحيث يسهل على وسيط ساذج مربوط على كرسيه ومحبوس في قفص من الحديد أن يوقعهم تحت تأثيره المغناطيسي فيوهمهم برؤية مالا يوجد الاَّ في خيالهِ فيسرعون الى اثباتهِ تحت العنوانات الضخمة في مجلاتهم وكتبهم في مدى جيلين متتابعين ويعقدون لهُ مئات الجمعيات ثم لا يؤوبون الى رشدهم بعد تنبيه الماديين لهم بل يدأبون عليهِ ويواصلون البحث فيهِ كأنهم جمعوا الى بلادة العقل والبله المستعصي الجمود الذي لا حد لهُ

ان دحض نظرية الاستهواء من ايسر الامور بل هي داحضة من نفسها في نظر من وقف على بعض التجارب الروحية ونحن سنأتي على الوجوه التي تبطلها:

(١) المعروف في الاستهواء انهُ يؤثر على واحد والمجربون للظواهر النفسية يكونون عادة كثيرين وقد كان عدد الاعضاء الذين ندبتهم الجمعية العلمية الانجليزية لبحث هذه الظواهر ثلاثين فكيف تسنى للوسيط استهواء هذا الجمع الغفير؟

(٢) المقرر ان الواقع تحت استهواء غيره يكون فاقداً لارادتهِ وملازماً لمجلسهِ وفي حالة نوم لا تفترق عن النوم الطبيعي الاَّ في اطاعتهِ للمؤثر عليهِ.

والمجربون في المسائل النفسية يكلم بعضهم بعضاً ويتوسمون ويتعدون ويراقبون الوسيط ويقيدون بالكتابة ما يشاهدون ويسمعون

(٣) المعروف عن الاستهواء ان المستهوى يقف على قدميه امام من يريد استهواءه ويحدق في عينيه أو يشير اليه بيديه . والامر على العكس من هذا في التجارب الروحية فان الوسيط هو الذي يقع في خدر تام وقد يتشنج وتعتريه حوادث تموز الاسماف في اثناء التجربة فيقوم بخدمته المجربون ويكون مقيداً ومربوطاً على كرسيه وموضوعاً داخل قفص من الحديد وموصلاً به سلك كهربائي ليسجل عليه جميع حركاته

(٤) كثيراً ما يكون الوسيط امرأة الباحث المجرب او بنته كما كان ذلك حال الوزير الروسي اكزاكوف وادموندس رئيس مجلس الشيوخ الاميركي او احد المجربين كما حدث للجنة التي ندبتها الجمعية العلمية الانجليزية لبحث هذه الظواهر او يكون المجرب وسيط نفسه كما كان حال ستيد وسنتون موزس وغيرهم من كبار الرجال وعظيمات النساء فهل تستقيم نظرية الاستهواء في هذه الاحوال كلها ؟

(٥) تسجيل الآلة الفوتوغرافية للظواهر النفسية في ساعات حدوثها فتأتي الصور مطابقة لما رآه المجربون بانفسهم فهل تقع الجوامد في الاستهواء ايضاً فترسم خيالات الوسيط ؟

(٦) ارتفاع الاحجار الثقيلة عن الارض وانتقال الاثاثات من اماكنها وبقاؤها في مطارحها الجديدة بعد التجربة . او تحطمها واستحالتها الى قطع بدون لمس احد لها وخروج مساميرها بدون آلة وبقاء ذلك كله مشاهداً محسوساً بعد الفراغ من التجربة

(٧) حدوث قوالب من البرافين في اثناء التجربة وبقاؤها بعدها ومنها قوالب لايد وارجل ليست لاحد من المجربين لان منها ما يكون في نحو ضعفي حجم يد الانسان العادي

(٨) بقاء الازهار والاشياء التي تجلبها الارواح من اماكن بعيدة بعد التجربة ولا يزال كثير من تلك الاشياء محفوظاً لدى المجربين وقد مضى على بعضها اكثر من نصف قرن

(٩) بقاء ما تكتبهُ الارواح بايديها في اثناء تجسدها بعد انفضاض التجربة

هذه الوجوه كلها تنفي نظرية الاستهواء والتخييل وقد نقلنا عدداً كافياً من هذه التجارب في مقالاتنا السابقة هنا ولكن الماديين الذين يزعجهم ان يكون في الكون غير المادة المحسوسة يهزون اكتافهم متى سمعوا بهذه التجارب ويصرون على اعتبارها اضاليل عقلية او اطايل شعوذية وينسون او يتناسون ان الذين يقولون بها اليوم كانوا بالامس أشد منهم شكا وكانوا يضمون المجربين باشد مما يضمونهم هم به اليوم من سقم العقل والوقوع في الانخداع ولكنهم بعد ان خبروها بانفسهم عادوا فاقتنعوا بصحتها بالرغم منهم

ولو كان هؤلاء الماديون منصفين ولم يطوح بهم الهوى الى ما طوح بهم اليهِ من معاندة المحسوسات لكان لهم في تقرير لجنة الجمعية العلمية الانجليزية التي وكل اليها البت في امر هذه الظواهر مقنع. لان هذه اللجنة التي الفت من ثلاثين عالماً من اشهر علماء الانجليز درست خصيصاً لحسم مادة القيل والقال ودرس الموضوع دراسة علمية خالية من كل غرض مذهبي او اعتبار ديني . ولم تستخدم وسيطاً مأجوراً ولم تجتمع الاَّ في بيوت اعضائها المجربين وليس فيهم واحد يجهل الاستهواء او يستنيم للانخداع وكانت الامة الانجليزية اذ ذاك ناقمة على حركة الاسبرتسم وعادّة اياها رجوعاً للاوهام القديمة وتود ان يكون من وراء اجتماع هذه اللجنة كشف وجوه التدليس واصدار حكم قاطع صارم لا يقبل النقض على ان هذه الامور من الشعوذة التي لا يقع فيها الاَّ الغفل ولا يقيم لها وزناً الاَّ العامة الجاهلون ولكن رغماً عن هذا كلهِ جاء تقرير اللجنة مخالفاً لرأي الجمهور ومثبتاً لنظرية القائلين بان وراء هذه المادة قوى تظهر في شروط خاصة وتعمل بعقل وروية وتأتي اعمالاً مادية لا دخل لاحد من المجربين فيها . فكان هذا رأي العلم الحاسم وجاء بعدها الوف مؤلفة من العلماء المجربين فايدوا كلهم هذه النتائج . فهل بعد هذا اشاك مهما بلغ بهِ حب التحوط لمدركاتهِ أن يشك في صحة تلك الظواهر بحجة انهُ لم يرها بعينيهِ ؟ ولو رآها هو ونقلها لكذبهُ العامون كما يكذب هو سواهُ وهلم جرا . وليس هذا بالطريق التي تؤدي الى تقرير الحقائق الكبرى . وقد لاحظ هذا الامر قادة العلم في اوربا ونبهوا على ضررهِ

وعلى تأثيره السيء في تقدم العلوم فقال الاستاذ الرياضي الكبير ألبرت دو روشاس مدير مدرسة الهندسة في باريز في مقدمة كتابه « استخراج القوة المحركة التي في الانسان » :

« ان رفض تصديق كل هذه التأكيدات على كثرتها ووضوحها ودقتها بحجل قيام اي علم طبيعي مستحيلاً فدارسهُ لا يجوز لهُ ان يطلب شهود جميع الظواهر التي تلقى اليهِ والتي تكون ملاحظتها صعبة غالباً »

على ان المادي المتشكك لو قام لهُ عذر في اطراح قرار لجنة الجمعية العلمية الانجليزية المذكورة آنفاً فلم يعهد في تاريخ العلم ان ثلاثين عالماً من الاخصائيين يجتمعون ثمانية عشر شهراً للبت في مسألة محسوسة ويجمعون على حكم لا يشذ عنهُ واحد منهم واربعة اخماسهم كانوا متشككين قبل بحثها انها من الشعوذة كما كتبوا ذلك بانفسهم في تقريرهم فيقعون كلهم في الضلال لا يشذ عنهم واحد يخالفهم الى الهدى

لم يعهد هذا في تاريخ العلم ولن يكون في عصر من العصور وقد اثر تقرير هذه اللجنة أعظم تأثير في عقول العلماء فحملهم على اجلال هذه المباحث محلها من الاعتبار وانتهى الحال بهم الى ما نرى اليوم من اعتبار المجامع العلمية الرسمية للمؤلفات التي تصدر فيها . وقد نقلنا في المقالة الماضية خبر منح المجمع العلمي الفرنسي جائزة (فانى إمدن) لكتاب المسيو ل . شفروى الذي عنوانهُ الانسان لا يموت وكل مستنداتهِ مستمدة من التجارب الروحية الحديثة

قال الدكتور السر ارثر كونان دويل وهو من مشهوري المفكرين الانجليز في كتابهِ الذي اصدرهُ في سنة ١٩١٩ التي نحن فيها وهي التي اعلن فيها انضمامهُ الى صفوف الروحيين بعد تجارب دامت اكثر من ثلاثين سنة :

« ولقد تأثرت ايضاً في ذلك العهد بتقرير الجمعية العلمية الانجليزية وهو التقرير الذي يصعد تاريخهُ الى سنة ١٨٦٩ ذاهبة من الاعمال التي تنضي قرائحها الى الاقتناع . وهو ان كان قد قوبل من المصحفيين الجهلاء وماديي العصر بالسخرية الا انهُ في الواقع ذو قيمة جليلة . فلقد تألفت هذه اللجنة من جماعة من الرجال الممتازين المعروفين بالنزاهة وقد رغبوا في تحقيق الظواهر الخارجية للاسبرتسم . فجاء تقريرهم مفصلاً تجاربهم والتحوطات التي اتخذوها ضد التدليس . فبعد ان يقرأ الانسان البراهين المجموعة في ذلك التقرير لا يستطيع ان يدرك كيف كان يصل

هؤلاء المجربون الى غير النتائج التي أعلنوها وهي ان هذه الظواهر بلا اقل ريب حقيقية وتدل على وجود نواميس وقوى لا تزال مجهولة من العلم . والاغرب مما تقدم انهُ لو جاء قرار هذه الجمعية ضد الاسبرتسم كان طعن هذه الحركة طعنة قاتلة وما كان يقابل بالاستهزاء لضمانهِ صحتها. ولقد كان هذا الاستهزاء حظ مباحث عديدة عملت بعد مباحث هيدسفيل في سنة ١٨٤٨ او حين قام الاستاذ هير (Hare) من جامعة فيلادلفيا ليعارض الحقيقة كما كان شأن القديس بولس ولكنهُ اضطر ان ينحني اجلالاً (انظر صحيفة ٣٧ من كتاب الوحي الجديد تأليف الدكتور السير ارثر كونان دويل)

هذا تأثير وقع تقرير اللجنة العلمية الانجليزية في العالم العلمي فيحسن بكل من يريد الكلام في هذا الموضوع تصوباً او تخطيئاً ان يقرأهُ احتراماً للحقيقة

واننا في مناسبة ذكر كتاب الدكتور السير ارثر كونان دويل نقتطف لقراء هذه المجلة كلمات منهُ فهو احدث كتاب ظهر في عالم المطبوعات في هذا الموضوع وصلتني نسخة منهُ منذ ايام وقد اخذت في ترجمتهِ لانهُ يحكي تاريخ نفسهِ في الشك والجمود ثم تدرجهُ شيئاً فشيئاً تحت تأثير البراهين الى الاعتقاد الجازم بان الاسبرتسم حق وانهُ وحي جديد للعالم ليخرجهم من ظلمات الالحاد المطلق الى انوار الايمان القائم على دعائم العلم الصحيح. قال الدكتور المذكور بعد ذكر التجارب التي عملها في مدى الثلاثين سنة السابقة

« ان هذا الموضوع كما وهنت عليهِ يجدر ان يعتبر بمثابة لعلم كان قد اندثر لا استكشافاً جديداً . واننا لسنا في عهد يصح ان تحسب فيهِ الآراء الناضجة المتروى فيها لامثال كروكس ووالس وفلامريون وشارل ريشيه ولودج وباريت ولومبروزو والجنرالين دريزون وتورنر والسر جان بالانتاين وستيد والقاضي ادموندس والاميرال اسبورن مور والمرحوم ارشيديكون وبابرفورس وجم غفير من شهود آخرين . فلا لسنا في عهد يصح ان توصف فيهِ آراء هؤلاء بانها من الخلط او اللغو المملل. وقد توافقنا انا والمستر ارثر هيل في القول بأننا وصلنا من هذا العلم الى النهاية التي تعتبر معها كل شهادة جديدة زائدة عن الحاجة ويقع عبء كل انكار على المنكرين انفسهم

«ان زمن البحث والتنقيب قد مضى وحان وقت العمل من زمان بعيد «ان الادلة التي يستند عليها هذا العلم من الكثرة بحيث تملأ مكتبة باكملها. والشهود الذين دعموه لا يعيشون في غيابات الظلام ولاهم في ماض بعيد لا يقبل التمحيص بل هم معاصرون لنا ومن اصحاب المدارك والصفات المجمع على احترامها

«الامر في جملته ينحصر كما ترى في الاخذ باحد رأيين اثنين وهما: إما ان يفرض بان وباء من الجنون التهم جيلين من الناس وعم قارتين من الارض واصاب رجالاً ونساء يعتبرون في اوج الصحة في كل مجال عقلي آخر وإما التسليم باننا منذ سنين نتلقى وحياً جديداً من مصدر الهي يخالف اكبر الحوادث الدينية التي حدثت منذ موت المسيح مخالفة كبيرة. لان حادثة الاصلاح البروتستانتي كانت عبارة عن تهذيب للكاثوليكية. واما هذا الوحي الجديد فيغير في نظرنا وجه الموت وحظ الانسان من الوجود تغييراً كلياً. لا مجال للتردد في اختيار احد هذين الفرضين. واما النظرية التي مؤداها ان الاسبرتسم لا يعدو التدليس والافك فلا تثبت امام الوضوح والبيان. فإما ان يكون هذا الامر من الجنون البحت واما ان يكون انقلاباً يجعلنا نقابل الموت وجهاً لوجه بلا وجل وتمزيقاً لاحد حجابات عنايان الذين نحبهم لم يتلاشوا بالموت بل انتقلوا الى عالم من وراء حجاب

«واحسن ما افعله لختام هذا الكتاب الصغير هو ان انقل الكلمات البليغة التي اعجز عن الاتيان بمثلها وهي كلمات تساوي فيها الفكر والبيان في السمو للمفكر الكبير والشاعر المستر جيرالد مسيه Gerald Massey وقد كتبت منذ عدة سنين قال:

«ان الاسبرتسم صار لي كما صار للكثيرين غيري توسعة في مدى افقي العقلي ومنفذاً لي الى السماء وتحولا لايماني بالغيب الى عقيدة بمشاهدات محققة لا يمكن ان تشبه الحياة بدونه الا بالمرور في قاع سفينة مقفلة النوافذ وليس مع السائر من نور غير بصيص من ضوء شمعة ثم سمح له مفاجأة ان يصعد الى ظهر السفينة في ليلة صافية بالكواكب ليتأمل لاول مرة هذا المظهر المعجب للسماء وهي تتلألأ بعظمة الله»

محمد فريد وجدي